

في علاقة النحو بالمنطق من خلال بعض مقابسات التوحيد¹

Faouzia DHIFALLAH

(Institut de sciences humaines, Tunis)

إن البحث عن المنطق قد يرمي بك إلى جانب النحو ،
و البحث عن النحو قد يرمي بك إلى جانب المنطق
أبو حيان التوحيدي، المقابسات (م عدد24)

Résumé

Quel rapport pourrait-il y avoir entre la logique grecque et la grammaire arabe ?
En se référant aux *Muquābasāt* de Tawhidi, cette communication a éclairé le rapport
problématique entre la grammaire arabe et la logique grecque. La question qui se
pose est de savoir dans quel sens Tawhidi conçoit que « la grammaire est une
logique arabe » et « la logique est une grammaire rationnelle » (*Muquābasāt* n° 22)?

ملخص

أي علاقة يمكن أن تكون بين المنطق اليوناني والنحو العربي؟
لقد وضّحت هذه المداخلة استناداً إلى مقابسات التوحيد إشكالية العلاقة بين النحو العربي
والمنطق اليوناني لذلك فإننا نتساءل بأي معنى يجعل التوحيدي من "النحو منطقاً عربياً ومن المنطق
نحواً عقلانياً (مقابلة عدد 22)؟ غير أن إدراك الفروق القائمة بين العلمين لا يلغي إمكانية وجود
تعاون بينهما (مقابلة عدد 24).

Abstract

What connection could there be between the Greek logic and Arabic grammar?
Referring to *Muquābasāt* of Tawhidi, this communication has informed the
problematic relationship between Arabic grammar and Greek logic. The question is
in what sense Tawhidi designs that "grammar is an Arab logical" and "logic is a
rational grammar" (*Muquābasāt* No. 22). Indeed, understanding the differences that
may exist between the two sciences, does not deny the possibility of cooperation
between them (*Muquābasāt* No. 24).

*قدم هذا المقال في ملتقى اللغة والمنطق في الفكر العربي الذي انعقد بالمعهد العالي للعلوم الانسانية بتونس خلال نوفمبر 2005

لا يبدو أن إمكان الحديث عن علاقة النحو بالمنطق على غاية من اليسر و ذلك راجع في نظري إلى تشعب هذه العلاقة تاريخياً أي تأثر المناهج اللغوية و النحوية بعوامل لغوية يونانية خاصة و أخرى فقهية و إن كان الفارابي قد أكد على أن علم اللسان كان قد اكتمل قبل ترسيخ علم المنطق في الربوع العربية. معنى ذلك أن المنطق اليوناني لم يبدأ إلا في القرن التاسع ميلادياً أي القرن الثالث للهجرة في حين أن اللغة ضبطت قواعدها في الكوفة والبصرة في نهاية القرن الأول و اكتمال القرن الثاني بحيث أن أثر علم المنطق في نشأة علم اللسان عند العرب لم يكن واضحاً إلا في بداية القرن الثالث للهجرة أي مع ابن السراج و تلامذته (260هـ - 310هـ)⁽¹⁾.

يفضي ذلك إلى توطن علاقة النحو بالمنطق إلى حد تبادل التأثير و التأثر بمعنى أن النحو العربي صار يقتبس من المنطق جملة من البنى النحوية و القوالب الفكرية و صار المنطقي على إطلاع بما تفرزه جملة البحوث النحوية من مناهج حديثة لذلك لا تتبين الحدود الفاصلة بين العلمين نظراً للتداخل والمزج الذي وقع بين العلمين و الحال أن لكل علم أغراضه و أساليبه و إن كان الأستاذ جمال العمراني قد أرجع هذا المزج الحاصل بين العلمين إلى ابن باجة تحديداً⁽²⁾.

إن تقرير الوضع الذي نشأت ضمنه إشكالية علاقة النحو بالمنطق يفضي إلى النظر في حدود التقارب الذي صار بين العلمين و تبين ملامح التباعد الأصلية التي إمّحت تدريجياً بفعل التركيز على علامات التداخل و التشابك عند القيام بعملية نقل المنطق اليوناني إلى الربوع العربية لأن علم المنطق كان بحاجة آنذاك إلى تأييد من أهل اللغة و الفكر حتى تيسر عمليّة ترسيخه إلى جانب علم قام و اكتمل هو علم النحو. لذلك تواترت المناظرات و السّجالات التي دارت رحاها بين المناطقة والنحاة في العصر العباسي وذلك لتتبع معالم هذا التقارب بين العلمين و البحث في إمكانيّة الحفاظ على التباين الذي يوجد بين منطق يوناني و نحو عربي أو النظر في التكامل الذي قد يحصل بينهما. وقد أشار الدكتور جيرار جيهامي إلى أن هذه المجالات و المناظرات قد انخرطت في صلب مسار تاريخ الفكر العربي و ما يوازيه من تاريخ علوم النحو وقد عكست لنا بنتائجها التفاعل المتبادل الذي حصل بين علوم اللغة و المنطق (...)

بحيث طبعت حيناً أساسياً من المؤلفات الفلسفية و الكلامية و الفقهية⁽³⁾.
فما الذي جعل العلاقة بين النحو والمنطق مشكلاً؟ وماهي ضروب هذه العلاقة التي تشدّ الواحد منهما إلى الآخر؟ هل يتعاونان بالمناسبة أم يتفاوتان بالفرق؟

إنه في ضوء هذا النحو من التساؤلات سوف نحاول أن نقدّم الخطوط الأساسية لهذه الخصومة التي دارت وتدور بين المناطقة والنحاة غير أن ديدننا هنا ليس تقصي قيام هذه الخصومة بين الأشخاص

(1) أنظر الفارابي، كتاب الحروف، تحقيق و تقديم محسن مهدي، ط2، دار المشرق، بيروت، 1991، المقدمة، (ص ص 44 - 47)

(2) ذكره جمال العمراني في كتابه (Logique aristotélicienne et Grammaire arabe, J.Vrin, 1983, p181)

ذكره الدكتور جيرار جيهامي في كتابه الإشكالية اللغوية في الفلسفة العربية، دار المشرق، بيروت، ط2، 1992، ص 137.

(3) جيرار جيهامي، الإشكالية اللغوية في الفلسفة العربية، الفصل الثالث، ص 129.

وإنما تتبع معالم علاقة النحو بالمنطق من جهة ماهي علاقة قد أربكت المناطق كما أربكت النحاة فالبحث في العلاقة هو بحث عن أنماط التقارب و التباعد ما بين العلمين. لكن ماهي دواعي قيام هذا التناظر ما بين علم المنطق و علم النحو ؟

لما انتهى أرسطو من تأسيس علم المنطق، لم يتخذ لهذا العلم رموزا كالرموز الرياضية أو الهندسية و لكنه صاغ القضايا المنطقية والمسائل المتعلقة بها في قوالب لغوية شبيهة بكلام الناس أي في صورة ألفاظ و أصوات كالتي يألفها الناس في أحاديثهم اليومية اعتقادا منه أن الفكر الإنساني يكون قبل حصول عملية النطق شبيها بالصورة الشمسية قبل تمييزها و لا تتضح معالمها إلا إذا ما عُولجت بالأحماض و من هنا بدأت الصلة بين اللغة والمنطق. لكن الحدود متشابكة و متداخلة فهناك ناحية من المنطق تنطبق تمام الانطباق على ناحية اللغة كما أن هناك من المنطق ما لا يمتُّ للغة بصلة في صورتها المألوفة الشائعة على الألسن بصلة ما⁽⁴⁾.

لذلك فإن وجه الصعوبة هو هذا : بأي معنى يكون لعلم المنطق نفس الموضوع الذي لعلم النحو ؟ (اللغة) فقد لبث المنطق يغزو و يبحوئه بعض مناطق النحو كما ظل اللغوي يقتحم ببحوئه بعض مناطق المنطق فالنحوي والمنطقي يتنافسان على نفس الموضوع ألا وهو اللغة. وقد أرخ التوحيدي لهذه الخصومة بين المناطق و النحاة في كتابه الإمتاع و المؤانسة⁽⁵⁾ حيث أورد المناظرة التي دارت بين أستاذه أبي سعيد السيرافي ، أحد النحاة المشهورين و متى بن يونس المنطقي ، في حضرة الوزير ابن الفرات. و قد ظهر منها ميل أبي حيان لمسلك النحاة غير أن رسالته في العلوم⁽⁶⁾ تؤكد تحيزه إلى جانب علم المنطق و تجعله في مرتبة أعلى من علم النحو إذ يقول : فكل من تكامل حظُّه في اللغة و توفر نصيبه من النحو كان بالكلام أمهر و على تصريف المعاني أقدر وازداد بصيرة في قيمة الإنسان المفضل على جميع الحيوان و عرف عوار المتكلمين و وقف على عادة الفقهاء في أمر، فإن شدا بعد ذلك شيئا من المنطق فقد سبق جميع الناظرين⁽⁷⁾ و تشير هذه القولة أيضا إلى الترتيب التفاضلي بين اللغة و النحو و المنطق و يعلن التوحيدي تفوق علم المنطق على علم النحو بقوله في نص الرسالة النحو مقصور على تتبع كلام العرب في إعرابها و معرفة أخطائها و صوابها و اعتياد ما تواطأت عليه و ألفت استعماله⁽⁸⁾.

أما نص المقابسات فإنه يكشف عن اقتناع التوحيدي بالعلاقة الفاعلة التي تربط بين العلمين وإن كان تعلقه بالمنطق لا يزال ظاهرا و تظهر في هذا النص رؤية أبي حيان التكاملية لذلك يحدد الصورة التي

(4) أحمد عبد الرحيم السايح ، " العلاقة بين اللغة و المنطق عند الفارابي " ، الباحث عدد 16 ، بيروت ، مارس - أبريل 1981 ، ص 72 .

(5) أنظر " الليلة الثامنة " من كتاب الإمتاع و المؤانسة.

(6) أنظر التوحيدي ، " رسالة في العلوم " ، ضمن " في الصداقة و الصديق " ، قسطنطينية ، 1301.

(7) رسالة في العلوم (ص ص 23 - 24) .

(8) رسالة في العلوم (ص 203) .

ينبغي أن يكون عليها كل من المنطقي و من النحوي و يبين مدى خصوصية الرابطة بين النحو والمنطق وهي اللغة العربية.

إن قصدنا ينحصر في النظر في علاقة النحو بالمنطق انطلاقاً من نص المقابسات وإن كان نص الإمتاع و المؤانسة قد تطرق لهذا الموضوع من جهة التأريخ للمناظرة التي دارت بين أبي سعيد السيرافي ومتى بن يونس فإنه عالج علاقة النحو بالمنطق بما هي خصومة بين النحاة و المناطقة. فلم تكن الظروف الحافة بالمناظرة و بالمجلس عامة لصالح علم المنطق بل لصالح علم النحو، غير أنه في الحقيقة كان لصالح علم المنطق وهو ما أثبتته التاريخ إذ استطاع الفارابي تجاوز هذا الإشكال بأن وضع العلاقات الممكنة بين علم النحو و علم المنطق في كتاب الحروف و قد كان على يئنة من أن علم اللسان كان قد اكتمل قبل ظهور علم المنطق⁽⁹⁾.

لذلك رفض جلال العمراني رد النسق النحوي العربي إلى المنطق الأرسطي، كما رفض رد اللغة العربية إلى القرآن و الشعر، و إن كان اعتزاز العرب بهذين المنبعين ظاهراً و جلياً وهو لا يدعو إلى إقامة علاقات الفصل ما بين النحاة و المناطقة فقط بل يتمثل الأمر بالنسبة إليه في التفريق الجذري ما بين علم النحو و علم المنطق عندما يفكر كل من النحوي و من المنطقي على أرضية مشتركة، ألا وهي اللغة العربية⁽¹⁰⁾. فالمازق التي وقع فيها كل من السيرافي و متى بن يونس هي مآزق راجعة إلى عدم التمييز بين النحو و المنطق فالسيرافي لا يرى في المنطق سوى النحو و بالتالي فهو نحو لغة قوم ما و ذلك راجع إلى كونه يخلط بين المنطق اليوناني و اللغة اليونانية كما يخلط بين العقل و المنطق فكلا الطرفين عارف بمجاله و جاهل بالمجال الآخر. فما يميز نص المقابسات عن نص الإمتاع و المؤانسة هو كون نص المقابسات يكشف عن الرؤية التكاملية ما بين علم النحو و علم المنطق وهو ما توضحه المقابسة الثانية والعشرين والتي يظهر أن أبا حيان قد كتبها فيما بعد لأنها توحى بمصالحة بين المناطقة والنحاة إذ يقول: "النحو منطق عربي والمنطق نحو عقلي" كما يرى أن النحو يساعد المنطق كما يعين المنطق النحو و إذا اجتمع المنطق العقلي و المنطق الحسي فهو الغاية والكمال. أما النحو فهو عند أبي سليمان نظر في كلام العرب يعود بتحصيل ما تألفه و تحيله و تأباه و تذهب عنه وتستغني بغيره⁽¹¹⁾. ويتفق مفهوم أبي سليمان هذا مع مفهوم أبي حيان فكلاهما يرى أن النحو يجمع كل ما يتعلّق باللغة من جوانبها المختلفة الصوتية و الصرفية و النحوية كما يتضمن هذا التعريف إيضاحاً لوظيفة النحو الذي يتحكم في بناء الكلام و سلامته من الأخطاء. أما المنطق فهو "آلة" يقع بها الفصل و التمييز بين ما يقال هو حق أو باطل فيما يعتقد و بين

⁽⁹⁾ راجع مقال محمد بن ساسي، "النحو العربي و المنطق الفلسفي، ملاحظات حول بعض المناظرات في العصر الوسيط"، المجلة التونسية للدراسات الفلسفية عدد 30-31، السنة السابعة عشر، (ص15 ← ص27).

⁽¹⁰⁾ ذكره جاك لونفاد في «Mentalité grammairienne et mentalité logicienne au IV siècle»

ZeitArab, linguistik, N°15, 1985 (p104).

⁽¹¹⁾ مقايسة عدد 22، ص 110

ما يقال هو خير أو شر فيما يفعل وبين ما يقال هو صدق أو كذب فيما يطلق باللسان وبين ما يقال هو حسن أو قبيح بالعقل⁽¹²⁾ هذا في نص المقابسات أما نص الرسالة فإنه يعرف النحو بأنه "قصور على تتبع كلام العرب في إعرابها و معرفة خطئها وصوابها واعتياد ما تواطأت عليه وألفت استعماله"⁽¹³⁾ أما المنطق فهو اعتبار معاني الكلام في اعتدالها وانحرافها واختلافها وائتلافها وإيهامها وإيضاحها وإغماضها وإفصاحها وتمييزها والتباسها وإطراحها وانعكاسها واستمرارها واستقرارها وبه تُفصل الحجّة من الشبهة وتنقي الشبهة عن الحجّة و تعرف حيلة المغالط ونصيحة المحقّق وهو آلة عند أربابه كالميزان يزنون به كل مختلف فيه ومتفق عليه وليس فيه كفر ولا جهل ولا دين ولا مذهب⁽¹⁴⁾ وهذا التعريف الذي يقدمه الفارابي في الفصل الثاني من إحصاء العلوم إذ يقول: "فصناعة المنطق تعطي بالجملة القوانين التي من شأنها أن تقوم العقل وتسدد الإنسان نحو طريق الصواب ونحو الحق في كل ما يمكن أن يغلط فيه من المعقولات و القوانين التي تحفظه و تحوطه من الخطأ والزلل في المعقولات والقوانين التي يمتحن بها في المعقولات ما ليس يؤمن أن يكون قد غلط فيه غلط"⁽¹⁵⁾.

ونستطيع أن نتبين أوجه اتفاق تجمع بين المنطق والنحو، اقتنع بها أبو حيان فنقلها عن أستاذه أبي سليمان، وذكرها في مقابساته، وتتمثل هذه الأوجه أن كلا من النحو والمنطق أداة تحقق السلامة من الأخطاء كل منهما في مجاله الخاص به، كما يشتركان في الوظيفة، فالنحو يرتب اللفظ لذلك ينظر النحوي فيما حلاه اللفظ دون الإخلال بالمعاني التي هي كالحقائق والجواهر (المقا بسبة رقم 22) والمنطق يرتب المعنى لذلك ينظر المنطقي فيما حلاه العقل دون الإخلال بالألفاظ التي هي كالحلّل والمعارض (م - عدد 22)، ومن وظائفها أيضا تحقيق المعنى فالنحو يحقق المعنى باللفظ والمنطق يحقق المعنى بالعقل . غير أن النحو يرتب اللفظ ترتيبا يؤدي إلى المعنى المعروف أو إلى العادة الجارية في حين أن المنطق يرتب المعنى ترتيبا يؤدي إلى الحق المعترف به من غير عادة سابقة (م - عدد 22)، وذلك عائد إلى كون دليل النحو هو دليل طباعي فالنحو شكل سمعي - - - - - عقلي، فالبرهان المنطقي مأخوذ من العقل في حين أن شهادة النحو طباعية مأخوذة من عادات العرب أي من سنن المشافهة عند العرب.

إن ذلك يؤدي إلى ربط علم النحو بالبديهة و"البديهة منوطة بالحس و إن كانت معانة من جهة العقل (م - عدد 22) وربط علم المنطق بالروية و "الروية منوطة بالعقل وإن كانت معانة من جهة الحس" (م - عدد 22) لذلك يصف أبو سليمان النحو بكونه منطقا حسيا لارتباطه بالفكرة والطباع ويصف المنطق بكونه نحو عقليا فيربط النحو بحد البلاغة والخطابة ويربط المنطق بحد الإفهام والتفهم والواقع أن حد البلاغة

(12) مقايسة عدد 22 ، ص 110

(13) رسالة في العلوم ، ص 203

(14) رسالة في العلوم ، ص 203

(15) الفارابي ، إحصاء العلوم ، الفصل الثاني (ص53).

و الخطابة موصوف (م - عدد 22 ص 109) في حين يكون "حد الإفهام و التفهم معروف" (م - عدد 22 ص 109).

لذلك فإن النحو يصير علما "مقصورا" على أمة ما في حين المنطق علما "مبسوطا" وهو ما ذهب إليه الفارابي أيضا لَمَّا قارن بين صناعة المنطق وصناعة النحو إذ رأى أن "نسبة صناعة المنطق إلى العقل و المعقولات كنسبة صناعة النحو إلى اللسان والألفاظ ، فكل ما يعطيه علم النحو من قوانين في الألفاظ يُعطي علم المنطق نظائرها في المعقولات و يُفرق بينهما في أن قوانين المنطق عامة لأنها قوانين عقلية لا تختلف باختلاف المكان والزمان واللغات أما قوانين النحو فتخص لغة كل أمة (...). فالمنطق يعطي القوانين في القوانين جميعا وهو يشارك النحو بعض المشاركة بما يعطي من قوانين الألفاظ ويفارقه في أن علم النحو إنما يعطي قوانين تخص ألفاظ أمة ما. وعلم المنطق إنما يعطي قوانين مشتركة تعم ألفاظ الأمم كلها فإن للألفاظ أحوالا تشترك فيها أحوال كل الأمم"⁽¹⁶⁾.

لذلك فإن النحو يعتريه الاختلاف وذلك راجع إلى كون النحو يتبع ما في طبائع العرب" (م-عدد 22 ص 111) والطبائع مختلفة متبدلة ومرتبطة بالأهواء والوشائج لذلك فقد يعتريه الاختلاف" أما المنطق فهو مستمر على الائتلاف (م - عدد 22 ص 111) و ذلك راجع إلى كونه "يتبع ما في غرائز النفوس"⁽¹⁷⁾ أي أن المنطق هو قوة مركوزة في النفس لذلك فهو يوزن بميزان العقل لأن "العقل أشد انتظاما للمنطق"⁽¹⁸⁾ أما النحو فهو كيل بصاع اللفظ⁽¹⁹⁾ أي أن النحو ميزانه ومعياره اللفظ لذلك فهو أشد التحاما بالطبع⁽²⁰⁾ إذ يتبع ما في طبائع العرب لذلك يقول أبو سليمان رادا عل أسئلة التوحيد ومتحدثا عن يحيى بن عدي أن النحو و الشعر و اللغة ليست بعلم و الدليل على ذلك هو "أنك لو لقيت في البادية شيئا بدويا فحا محرما لم ير حضريًا قط ولا جاور عجميًا ولم يفارق رعيّة الإبل وانتياب المناهل وهو على عنجهيته التي لا يشق غباره فيها أحد منا وإن تكلف فقلت له : هل عندك علم ؟ فقال لا هذا وهو يسير المثل ويفرض الشعر ويسجع السجع البديع ويأتي بما إذا سمعه واحد من الحاضرين وعاه واتخذة أدبا ورواه"⁽²¹⁾.

وبما أن النحو أشد التصاقا بالطبع منه بالعقل قبل فيه الشاذ والنادر و"رُد في المنطق ما جرى مجراهما"⁽²²⁾. لكن ألا يمكن أن يكون مرتبعا بالعقل ؟ بمعنى ألا يمكن للإنسان أن يكون منطقيًا بالطبع الأول ؟ يعتبر أبو سليمان أن الإنسان منطقي بالطبع الأول ولكن "يذهب عن استنباط ما عنده بالإهمال

⁽¹⁶⁾ ذكره أحمد عبد الكريم السايح ، " العلاقة بين اللغة و المنطق عند الفارابي " - مجلة الباحث عدد 16 ، مارس - أبريل 1981 -

بيروت ، ص 82.

⁽¹⁷⁾ المصدر نفسه.

⁽¹⁸⁾ المصدر نفسه.

⁽¹⁹⁾ المصدر نفسه.

⁽²⁰⁾ المصدر نفسه.

⁽²¹⁾ للمقايسة عدد 48 ، ص ص 170-171.

⁽²²⁾ للمقايسة عدد 22 (ص 111).

”وذلك راجع إلى كون ”الحاجة إلى النحو أكثر من الحاجة إلى المنطق“⁽²³⁾ ولكن ذلك لا يجعل أبا سليمان متأكدا من كون النحو قوة أصلية في الإنسان ففي نظره ”ليس كل إنسان نحويا في الأصل“ وإن كان النحو أول مباحث الإنسان” و”المنطق آخر مطالبه“⁽²⁴⁾.

إن أبا سليمان لشدة ربطه للمنطق بالطبع الأول للإنسان يكاد يجعله قريبا في معناه من الإلهام أو الوحي الذي يرتكز في النفس لوجود القريحة، فالعرب في نظره و إن كانت أرضهم ذات جذب وقطع ... وإن كانوا أصحاب فقر“ (...) فقد زادتهم جزيرتهم سرا لكثرتهم عوضوا الفطنة العجيبة والبيان البديع والتصرف المفيد والاعتدال الظاهر لأن أجسامهم نُقيت من الفضول و وصلوا بحدة الذهن إلى كل معنى معقول وصار المنطق الذي باينوا به غيرهم بالاستخراج مركزا في أنفسهم من غير دلالة عليه بأسماء موضوعة وصفات متميزة بل بشيء كالإلقاء والوحي لسرعة الذهن وجودة القريحة⁽²⁵⁾.

إن ما يؤكد عليه التوحيدي في مناقشة لأبي سليمان للبحث في علاقة المنطق بالنحو وإدراك ما بينهما من تشابه أو من تباين هو: أولا: إدراك أن الفروق القائمة بين المنطق والنحو لا تلغي إمكانية وجود تعاون بينهما فهما يتكاملان ويتعاونان بالمناسبة⁽²⁶⁾ وإن كانا يتفاوتان بالفرق فالنحو يدخل المنطق لكن مزينا له والمنطق يدخل النحو لكن محققا له⁽²⁷⁾ بمعنى أن النحو يُزين المنطق لأنه ترتيب للألفاظ والمنطق يُحقق النحو لأن المنطق ترتيب للمعاني واللفظ متى زال فإن المعنى بحاله لا يزول ولا يحول⁽²⁸⁾ وإن كان زوال المعنى من شأنه أن يُغير المعقول ويرجع إلى غير ما هو عليه في الأول.

ثانيا: تبيان أن النظر في المنطق قد يرمي بنا إلى النظر في النحو في البحث عن النحو قد يرمي بنا إلى جانب المنطق⁽²⁹⁾ وذلك راجع إلى التكامل الحاصل بينهما فعلا لذلك يختم التوحيدي المقابلة الرابعة والعشرين بالتركيز على ضرورة أن يكون المنطقي نحويا وأن يكون النحوي منطقيًا إذ يقول أبو سعيد السيرافي مخاطبا أبا حيان التوحيدي: ”تابعت، حاطك الله، بين هذه المقابسات الثلاث، لأنها متوازية في بابها، أعني أنها في حديث اللغة والنحو والمنطق والنظر. وبهذا تبين لك أن البحث عن المنطق قد يرمي بك إلى جانب النحو، و البحث عن النحو قد يرمي بك إلى جانب المنطق. ولولا أن الكمال غير مستطاع. لكان يجب أن يكون المنطقي نحوي، والنحوي منطقيًا، خاصة واللغة عربية، والمنطق مترجم بها، ومفهوم عنها، و الخلل على قدر ذلك قد دخل فيها بنقل بعد نقل، وشرح بعد شرح“⁽³⁰⁾.

(23) المصدر نفسه.

(24) المصدر نفسه.

(25) المقايسة عدد 65 – (ص ص 221-222).

(26) المقايسة عدد 22 – (ص 108).

(27) المقايسة عدد 22 – (ص 111).

(28) المصدر نفسه.

(29) المقايسة عدد 24 (ص 117).

(30) المقايسة عدد 24 (ص 116).

ثالثاً : لا ينبغي تفضيل المنطق على النحو أو وضع واحد منهما في مرتبة أو مقام أشرف من المقام الذي للعلم الآخر فإذا كان المنطق راجع إلى الروية والنحو راجع إلى البديهة فإن الروية والبديهة كلاهما قوتان على غاية من الشرف⁽³¹⁾ إذ يقول أبو سليمان : "والروية والبديهة تجريان من الإنسان مجرى منامه ويقظته أو حلمه وانتباهه، وغيبته وشهوته، وانبساطه وانقباضه، فلا بد من هاتين الحالتين، ومتى ضعف فيهما فاته الحظ المطلوب من الحياة، والثمرة الحلوة من السعي"⁽³²⁾ لذلك لا يوجد الإنسان غاية في البديهة، غاية في الروية، لأن إحدى القوتين، إذا استعملت قمعت الأخرى، وحاجزتها عن بلوغ غايتها القصوى⁽³³⁾ غير أنه لا بد من وجود القوتين معا لأنه وجد فينا شيئاً لا يبرز إلا بالروية والفكر والتصفح والقياس وشيء بالخاطر والبديهة والإلهام والوحي والفلتة"⁽³⁴⁾ وذلك راجع إلى أن الروية تُحيل دائماً على الجانب البشري في الإنسان في حين أن البديهة تحيل دائماً إلى الجانب الإلهي فيه.

ينبغي إعادة النظر في علاقة المنطق بالنحو، بحسب الدور الذي قد يلعبه المنطق في بناء علم النحو، أي أن تحديد هذه العلاقة يحتاج إلى تعيين جهة النظر التي تحدّد مقاما خاصا بكل علم في علاقته بالعلم الآخر، فإما أن يكون النحاة قد تأثروا فعلا بمنطق أرسطو، و إما أنهم قد استفادوا منه دون أن يُعولوا عليه كثيراً، وإما أن كلا العلمين مختلفين و إن كانا يتكاملان بالمناسبة بمعنى أن المنطق علم لا يمكن الاستغناء عنه وإن كان الفرق بين العلمين ظاهراً جلياً، وهو الموقف الذي يتبناه الفارابي⁽³⁵⁾. إن ذلك لا يُفضي إلى ضبط المواقف التي تبناها الناظرون في أمور النحو و المنطق فانطلاقاً من تباين وجهات النظر تباينت المواقف، وتعددت الإحداثيات التي ترغب في مساندة نمو هذه الإشكالية في الحضارة العربية تحديداً، ومن ذلك تأكيد الدكتور إبراهيم مدكور على تأثر النحاة العرب بمنطق أرسطو حيث يقول :

"وقد أثر فيه المنطق الأرسطي (يقصد النحو) من جانبين : أحدهما موضوعي والآخر منهجي فتأثر النحو العربي عن قرب أو عن بعد بما ورد على لسان أرسطو في كتبه المنطقية من قواعد نحوية وأريد بالقياس النحوي أن يُحدد و يُوضَّح على نحو ما حُدد القياس المنطقي (...). فَعَرَفَ أرسطو المنطقي قبل أن يُعرف أرسطو الميتافيزيقي و تُرجم الأورغانون قبل أن يترجم كتاب الطبيعة أو كتاب الحيوان"⁽³⁶⁾.

(31) المقايسة عدد 55 (ص 189).

(32) المقايسة عدد 55 (ص 189).

(33) المقايسة عدد 55 (ص 189).

(34) المقايسة عدد 55 (ص 189).

(35) يقول أحمد عبد الرحيم السائح : "إن القائلين بالاستغناء عن المنطق اعتماداً على كثرة استعمال الأقاويل الجدلية واضح لأن أولئك يزعمون الاستغناء عنه بديل صناعي و هؤلاء يزعمون الاستغناء عنه بديل فطري. و حجة هؤلاء أن الله أودع في فطر بعض الناس صفاء العقل و جودة الذهن و نضج القرحة بحيث لا يخطئون الحق أصلاً دون تعلم لقوانين المنطق و لا يملك الفارابي رداً على هؤلاء سوى ما ذكره من أن شأن هؤلاء كشأن من يزعم الاستغناء عن النحو اعتماداً على سلامة الفطرة من غير احتياج إلى قوانين النحو" ، المصدر نفسه ، (ص 81).

(36) ذكره ، أحمد عبد الكريم السائح ، المصدر نفسه ، (ص 71 ، 72 ، 73).

غير أن المستشرق أ- ماركس (A.Merx) لا يكتفي بافتراض تأثر النحو بالمنطق اليوناني، بل يرجع كل نحو و كل لغة إلى المنطق و الفلسفة كما يرى أن أصل النحو العربي ليس النحو الإغريقي أو المنطق الرواقي و إنما المنطق الأرسطي تحديداً⁽³⁷⁾. وإن كان ماركس قد دعم هذه النظرية بإحاطته على جملة من المصطلحات والقواعد والبنى المشتركة بين العلمين⁽³⁸⁾ فإن كارتر (M.Carter) يرفض هذه النظرية و يعتبرها مفتقرة إلى الأدلة والمراجع الواضحة إذ لا وجود لنصوص تاريخية تبين هذا التأثير الواضح بين العلمين⁽³⁹⁾. كما رفض تروبو (G.Troupeau) الموقف القائل بتأثير المنطق الأرسطي في نحو سيبويه وتمسك أرنالديز (Arnaldes) بضرورة رد اللغة العربية إلى القرآن⁽⁴⁰⁾ كما لو أن موقف المدافع عن النحو ضد المنطق، هو موقف المدافع عن الإسلام و عن الملة (...). كل ذلك يجعل النحاة محترزين احترازا كبيرا أمام هذا الدخيل الذي كأنما هو يريد أن يؤسس لغة في لغة قائمة بين أهلها⁽⁴¹⁾.

إن النظريات المتعلقة بدراسة علاقة علم النحو بعلم المنطق مترددة بين الإدعاء بمزج أصول النحو العربي بأصول المنطق اليوناني، وبين التحدث عن أصولية علم النحو، أي القول باستقلاله عن علم المنطق. لذلك يعتبر جيران جيهامي أن كلا الموقفين لا يفيان بالغرض في تحديد الملامح الحقيقية لإشكالية النحو والمنطق وذلك راجع في نظره إلى أن الإدعاء بمزج أصول النحو العربي بأصول المنطق اليوناني بعيد عن محجة الصواب نظرا إلى قيامه على تأويلات جزئية وليس على نصوص وشواهد ثابتة. كذلك الكلام

⁽³⁷⁾ ذكره، جمال العمراني، "المنطق الأرسطي و النحو العربي"، (ص 23)، و ذكره جيران جيهامي في الإشكالية اللغوية في الفلسفة العربية، (ص 124).

⁽³⁸⁾ يقول جيران جيهامي: "كُرس ماركس نظريته هذه بدلالته على مجموعة من المصطلحات و القواعد المشتركة بين أصول المنطق الأرسطي و أصول النحو العربي الذي تفرع مذاهب و مدارس أولها أن تقسيم سيبويه لعناصر اللغة إلى اسم و فعل و حرف شبيه إلى حد بعيد بتصريف الأسماء و الأفعال و الحالات عند أرسطو ثانيها أن أرسطو لم يعرف الموضوع نحويا إنما الصفة أو المقولة المحمول كذلك العرب الذين استبدلوها بموضوع "الخبر". ثالثها إن فكرة "الجنس" لم ترد أصلا عند اليونانيين و انعكست عند العرب في تصريف الأسماء و الأفعال و تشكيلها في حالات الرفع و النصب و الجر. رابعها إن تقاربا معنويا جرى بين الألفاظ العربية و تلك اليونانية كمثال لفظ "الظرف" الزماني و المكاني الذي انبثق عن معنى "الوعاء اليوناني"، المصدر نفسه، (ص 124، 125).

⁽³⁹⁾ يقول جيران جيهامي متحدثا عن موقف كارتر (M/Carter) عن القائلين بتأثر النحو العربي بالمنطق الأرسطي: "رفض كارتر هذه النظرية منطلقا من افتقارنا إلى مراجع و نصوص تبين تاريخيا و واقعا تأثير القوى العربية بالمنطق اليوناني (...). فلا دلائل كافية تقوي موقف الداعين هؤلاء إلى تبين آثار المنطق اليوناني في صلب بنية النحو العربي (...). فسبويه بعيد كل البعد عن اللغويين اليونانيين وقصده البصرة كان لتعلم الحديث و الفقه لا المنطق فهو لا يهتم بمعاني الكلمات وأبعادها الفكرية قدر اهتمامه بدورها و مكانتها واستعمالها الصحيح و ذلك لأسباب لغوية صرفة أما طرق بحثه في النحو فكانت فقهية المصدر انطلاقا من استعماله نَحج الثمائل أو التشابه الواردين في مفهوم "القياس الفقهي" الذي طُبّق مُقربا الفرع من الأصل (...). و ينهي كارتر دراسته بإصراره على طغيان المنحى الفقهي - القياسي على قواعد سيبويه و باستبعاده النظر إليها من زاوية منطقية يونانية، المصدر نفسه، (ص 125-126).

A.El Amrani Jamel, *Logique aristotélicienne et grammaire arabe* (Etude et documents), J.Vrin, 1983 (pp 23, 25)

⁽⁴¹⁾ محمد بن ساسي، المصدر نفسه، (ص 19).

على أصولية النحو بشكل قاطع، إنما هو تجاهل لما حصل عند المتأخرين من تشابك وتفاعل بين العلوم اللسانية و تلك الإنسانية⁽⁴²⁾.

متى تبينا ذلك فإن انعطاف المسألة يُفضي إلى تقرير وجود فروق بالطبيعة بين علم المنطق وعلم النحو، من حيث أن الفرق هو فرق في الذهنية، لذلك ينبغي إدراك خصائص كل علم على حدة، فالعلاقة بين المنطق و النحو تُحيل على اختلاف في الذهنية : الذهنية المنطقية اليونانية والذهنية النحوية العربية. ذلك ما أكد عليه جاك لونقاد (Jacques Longhade) نفسه مُشيراً إلى أن هذه الثنائية نجدتها أيضاً داخل الذهنية العربية في حد ذاتها، إذ يتجاوزها فكر نحوي وآخر منطقي لذلك اتضح لدى الفارابي في مقدمة كتاب الألفاظ المستعملة في المنطق (الفقرات 2 و 3 و 7)، أن النحاة والمناطق لا يفكرون بنفس الكيفية في المعطى المفهومي، ولا يتكلمون نفس اللغة و ذلك راجع إلى كون المنطق هو لغة صناعية أحدثت ضمن لغة متداولة أو هو "ميتالغة" (métalange) أما النحو فينتج عن اللغة المشتركة والمتداولة عبر سنن المشافهة و يكون خاصاً بأمة ما بعينها، لذلك فهما كان وضع العلاقة بين النحو والمنطق على درجة من الاختلاف، فهو لا ينفي إمكانية وجود تكامل بينهما، فلاهما يتناقضان ولاهما يستغنيان عن بعضهما البعض⁽⁴³⁾.

إذا كان جاك لونقاد قد تحدث عن فرق في الذهنية : أي بين الذهنية المنطقية اليونانية و الذهنية النحوية العربية فإن جيرار جيهامي يُشير إلى نفس الفكرة مؤكداً أن العقل العربي له خصائصه التي تميزه عن العقل اليوناني وعن اللغة اليونانية، التي تتميز بالتجريد و النظر المعمم في حين تكون اللغة العربية لغة الشعر و الخيال إذ يقول : "إنها اللغة الحسية التي قامت على أساس المعاينة بالحس و المشاهدة وليس على ما ورأتهما من معان مستشفة فهي قليلة العمق في المقولات العقلية (...). فضعف التحليل و التعليل الذي عكسته اللغة العربية في تركيباتها الأولى يعود إلى طبيعة فإذا تبصر مثلاً في أمر أو استكشف حاله لا يذهب إلى حد الاستغراق الفكري إنما يقف على مواطن خاصة أو جانبية استتارت إعجابه أو دغدغت مخيلته⁽⁴⁴⁾.

يُبين إذاً أن السؤال عن النحو و المنطق يُرجعنا إلى السؤال عن اللغة فالمشاكل التي واجهت النحاة والمناطق راجعة إلى عدم تمييزهم بين المنطق اليوناني و اللغة اليونانية. كذلك فإن الأزمة التي تعالجها مقابسات التوحيد هي "أزمة في اللغة"، بمعنى أن اللغة في حد ذاتها تتجاوزها ثنائية المبنى والمعنى، فلا

⁽⁴²⁾ جيرار جيهامي ، المصدر نفسه ، ص 126. يمكن الاطلاع على الوقائع التي يذكرها جيرار جيهامي و التي تكشف عن النشأة المزدوجة التي لعلم النحو و تؤكد تقلباته المتعددة. (ص ص 126-127).

⁽⁴³⁾ Langhade Jaques, « Mentalité grammairienne et mentalité logicienne au IV^{ème} siècle », *ZeitArab*, Linguistik, N°15, 1985 (pp 105-106).

⁽⁴⁴⁾ جيرار جيهامي ، المصدر نفسه ، ص 30.

تعشق اللفظ دون المعنى ولا تهو المعنى دون اللفظ⁽⁴⁵⁾. غير أن الدكتور عبد السلام المسدي لا يكتفي بحصر الأزمة في اللغة فقط بل يجعلها "أزمة فيما وراء اللغة"⁽⁴⁶⁾ أساسا، بمعنى أن التوحيدي يضع نفسه موضع "امتحان مع المجتمع" هو "امتحان المقبولية لديه"⁽⁴⁷⁾ لذلك اعتمد على الطريقة الحوارية لأن هذه الطريقة تنشط عملية النقل كما تجعل المشاكل النظرية تنتظم وفق مناظرة فلسفية ترتقي بالمعطيات الفكرية عن الجزئيات أو المعطيات الموضوعية الحافة بالحوار.

بيد أنه و إن تعددت المناظرات التي عالجت إشكالية علاقة النحو بالمنطق فإن الخصومة بين المناطق و النحاة لم تخفت، و ذلك راجع إلى أن المدافعين عن النحو ضد المنطق، يصدر عن خلفيات إيديولوجية و عقدية أساسا⁽⁴⁸⁾. لذلك فإن استئناف النظر في هذه المسألة، مدعو إلى استيعاب المضاعفات التي أدت إلى انتشار النصوص المتعلقة بهذه المسألة، والتصدي لكل محاولة في طمس التفاعل الذي حصل بين علم النحو و علم المنطق، بتحويل المنطق إلى محور للصراعات النظرية العقيمة، على ألا يتم اقتلعه من أرضه التي نبت و ترعرع فيها⁽⁴⁹⁾.

بيبلوغرافيا نقدية

- A.ELAMRANI Jamel, *logique aristotélicienne et grammaire arabe* (Etudes et documents) J.Vrin, 1983.
- A.ELAMRANI Jamel, « Grammaire et Logique d'après le philosophe arabe chrétien Yahya Ibn AdI », (280-64 H / 893-971) in *ARABICA, Revue d'Etude Arabe* (fondé par E.Lévi, provençal), E.J.Brill, Editeurs, Leiden, 1982.
- Langhade Jacques, *Du coran à la philosophie, la langue arabe et la formation du vocabulaire philosophique de Farabi*, (préface de Jean Jolivet, Damas, 1994, (Troisième partie).
- Langhade Jaques, « Mentalité grammairienne et mentalité logicienne au IVème siècle », in *Journal de Linguistique Arabe*, N°15, 1985, (pp104-117).
- ابن باجة، التعاليق المنطقية، تحقيق و تقديم ماجد فخري، دار المشرق، بيروت، ط 1، 1994.

⁽⁴⁵⁾ ذكره، عبد السلام المسدي، "التوحيدي و سؤال اللغة"، فصول عدد 3، حريف 1995، ص 147-148.

⁽⁴⁶⁾ المصدر نفسه، ص 132.

⁽⁴⁷⁾ المصدر نفسه.

⁽⁴⁸⁾ يقول محمد بن ساسي: "إن المسألة لم تبق في حدود الخصومة النظرية بل تجاوزتها إلى الخلفيات العقدية بل نعلماء اللغة التحموا مع الفقهاء و المتكلمين ليصفوا الفلاسفة و المناطق أقطاب المدرسة البغدادية خاصة بالزندقة - "من تمنطق فقد ترندق" - المصدر نفسه، ص 26.

⁽⁴⁹⁾ لذلك ما قام به كل من ابن باجة و ابن رشد نظرا لاقتناعهم بأن المنطق هو منطق الفلسفة.

- بن ساسي محمد ، "النحو العربي" و المنطق الفلسفي" ، ملاحظات حول بعض المناظرات في العصر الوسيط ، *المجلة التونسية للدراسات الفلسفية* ، عدد 31/30 ، السنة 17 ، (ص ص 15-27).
- حيرار جيهامي ، الإشكالية اللغوية في الفلسفة العربية ، دار المشرق بيروت ، ط2 ، 1992
- التوحيدى (أبو حيان) ، *المقابسات* ، تحقيق و تقديم محمد توفيق حسن ، دار الآداب ، بيروت ، ط2 ، 1989
- التوحيدى (أبو حيان) ، *الإمتاع و المؤانسة* ، تصحيح و ضبط أحمد أمين و أحمد الزين ، المكتبة العصرية ، بيروت ، صيدا.
- التوحيدى (أبو حيان) ، رسالة في العلوم ، منشورات مكتبة الثقافة الدينية ، بور سعيد ، الظاهر.
- الفارابى (أبو نصر) ، إحصاء العلوم ، تحقيق و تقديم الدكتور عثمان أمين ، دار الفكر العربى ، مصر ، 1949.
- الفارابى (أبو نصر) ، كتاب الحروف ، تحقيق و تقديم محسن مهدي دار المشرق ، بيروت ، 1990.
- الفارابى (أبو نصر) ، كتاب الألفاظ المستعملة في المنطق ، تحقيق و تقديم محسن مهدي ، ط2 ، دار المشرق ، بيروت ، 1991.
- المسدي (عبد السلام) ، "التوحيدى و سؤال اللغة" ، فصول ، م 14 ، عدد3 ، خريف 1995 ، (ص ص 126 – 157).
- السائح (أحمد عبد الرحيم) ، "العلاقة بين اللغة و المنطق عند الفارابى" ، الباحث ، عدد 16 ، بيروت ، مارس-أفريل 1981.
- نصر الدين (صالح سيد) ، "الرؤية اللغوية عند أبي حيان التوحيدى" ، فصول ، م 15 ، عدد1 ، الجزء 3 ، ربيع 1996 ، (ص ص 205-221).